البروفيسورة
بسمة بنت أحمد جستنية

بسم الله الرحمن الرحيم

أستاذ الأديان والعقيدة بجامعة طيبة
سفير وزمالة دولية من مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز العالمي للحوار بين أتباع الأديان والثقافات kaiciid

أثر الحوار في الدفاع عن النبي ﷺ وإبراز شمائله ﷺ من خلال الحوار

المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
KSA - Al-Madina Al-Monawara

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

فيعد الحوار الركيزة الإنسانية المثلى في واقعنا المعاصر، بل والأسلوب الحضاري الأنجع في تجلية الحقائق وإزالة المفاهيم المغلوطة، والأحكام المسبقة لا سيما الخاطئ منها، عن الآخر. وهو وسيلة لمد جذور التواصل والتفاهم وتعزيز التعايش السلمي بين أفراد المجتمع. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومن خلال هذا البحث أعرض لشمائل المصطفى ﷺ، وكيف يمكن أن يكون الحوار معززا في التعريف بالنبي ﷺ ورسالة الإسلام السامية، والدفاع عنه ﷺ بالعلم والحكمة والموعظة الحسنة، وتوضيح جوانب وسمات من شخصيته العظيمة من خلال النصوص المنقولة عنه، في تراث علمائنا وسلفنا الصالح، بل وعلماء الغرب، توظيفا لأساليب الحوار الحضارية، لتحقيق الغاية والهدف الأسمى من هذا المؤتمر.

سيكون هذا البحث بإذن الله في مقدمة، وتمهيد: في مفهوم الحوار. وثلاثة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: في أهمية الحوار.

المبحث الثاني: بعض شمائله عليه الصلاة والسلام، وشهادات علماء الغرب في تلك الشمائل.

وفيه مطالب: المطلب الأول–صدقه ﷺ. وشهادات بعض علماء الغرب بصدقه ﷺ.

المطلب الثاني –عدله ﷺ. شهادات بعض علماء الغرب بعدله ﷺ.

المطلب الثالث – رحمته ﷺ. وشهادات بعض علماء الغرب بصدقه ﷺ.

المبحث الثالث: أثر الحوار في الدفاع عن النبي ﷺ بإبراز تلك الشمائل.

ثم الخاتمة في أهم النتائج والتوصيات.

ويأتي هذا البحث في هذا المؤتمر لتحقيق متطلبات وتوجيهات خادم الحرمين الشريفين، الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود، وتبنيه مشاريع الحوار الوطني، والحوار العالمي بين أتباع الديانات والثقافات والشعوب المختلفة في العالم، تحقيقا للتعايش والتعارف الحضاري والتبادل الثقافي والعلمي، والتواصل التقني والمعلوماتي.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

أسأل الله تعالى التوفيق والسداد، وأن يؤدي هذا العمل ولو جزءاً يسيراً من واجب الدعوة إلى الله ببيان حقيقة هذا الدين الخاتم، والدفاع عن مبلغ رسالة هذا الدين عليه أفضل الصلاة والسلام، وإبراز الصورة الحضارية المشرقة لهذا الدين في كافة جوانب الحياة، وإشاعة روح التسامح والتعايش والحوار.

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

وفي كل هذا أسأل المولى جل وعلا أن يجعله خالصا لوجهه الكريم. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تمهيـــد

مفهوم الحوار

الحوار في اللغة:

أصل الحوار من الحور، وهو الرجوع. وتراجع الكلام. [١] وفي لسان العرب: "وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة" [٢]

وقال الراغب الأصفهاني: "المحاورة والحوار: المراودة في الكلام ومنه التحاور". [٣]

وفي سياق الآيات الكريمة وردت المعاني المذكورة لكلمة الحوار، والتي تضمنت مادة "حور": قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق:١٤].

قال الإمام القرطبي في تفسيره للآية: "أي: لن يرجع حياً مبعوثاً فيحاسب، ثم يثاب أو يعاقب... فالحور في كلام العرب الرجوع ". [٤]

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وفي تفسير الآية: "تراجعكما "أي في الكلام. [٥] وقال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤].: "أي يراجعه في الكلام ويجاوبه. والمحاورة المجاوبة، والتحاور: التجاوب ". [٦]

---

١ الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس١٦٢/٣، وأحمد بن فارس. معجم مقاييس اللغة، ص٢٦٩.

٢ ابن منظور. لسان العرب ٢١٨/٤.

٣ المفردات في غريب القرآن. تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، ص ١٣٥.

الجامع لأحكام القرآن، ٢٧٣/١٩.

٥تفسير الجلالين، ٧٢٤/١.

٦ الجامع لأحكام القرآن ٤٠٣/١٠.

وفي السنة النبوية وردت مادة الحور، بمعنى الرجوع ومن ذلك قوله ﷺ: "من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله وليس كذلك، إلا حار عليه". [١] أي: "رجع عليه الكفر". [٢]

وروي عنه أنه ﷺكان يستعيذ من: "الحَوْر بعد الكوْر". [٣] أي من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة. [٤]

مما سبق يتضح أن الحوار يدور حول المراجعة في الكلام بين شخصين أو طرفين أو أكثر، والمحاورة هي تداول الكلام بين طرفين أو أطراف.

الحوار في الاصطلاح:

يرتبط المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي، حيث عُرّف بأنه: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، أو إظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي". [٥]

ومما قيل في تعريف الحوار: "أنه محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد، لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر، بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريقة تعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة، ولو ظهرت على يد الطرف الآخر."[٦]

وقيل: "الحوار هو تبادل المعلومات والأفكار والآراء سواء كانت تبادلاً رسمياً أم غير رسمي، مكتوباً أم شفوياً، وينعقد الحوار بمجرد التعرف على وجهات نظر الآخرين وتأملها وتقويمها والتعليق عليها..."[٧]

ويمكن أن نعرف الحوار بأنه: " تبادل للرأي والفكر بين طرفين أو أطراف وفق ضوابط محددة لدوافع وأغراض مختلفة". [٨]

---

١ صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب حال إيمان من قال لأخيه المسلم يا كافر، ٣٢٥/١

٢ شرح صحيح مسلم، ٣٢٦/١.

٣ الجامع الصحيح، الترمذي، ٤٩٧/٥.وقال الترمذي: حديث حسن صحيح

٤ الجامع لأحكام القرآن ٢٧٣/١٩.

٥ أصول الحوار وآدابه في الإسلام، صالح بن عبد الله بن حميد، ص٣

٦ الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجك، ص٢٠.

٧ الحوار مع أتباع الأديان– مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقا، ص ٤.

٨ الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه، أحمد سيف الدين التركستاني، نسخة الكترونية موجودة ضمن برنامج المكتبة الشاملة، ص ١٠.

فالذي يظهر أن الحوار كلمة تستوعب كل أنواع وأساليب التخاطب، سواء كان منشؤها الخلاف بين المتحاورين، أو من غير خلاف. إنه تلاقح بين الثقافات بين بعضها والآخر، وما يحصل من جراء ذلك من تعارف وتصويب بعضهم لبعض، وتأثير مع اختلافاتهم الفكرية.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

المبحث الأول

أهمية الحوار

يبرز هذا المؤتمر ودوافع انعقاده جانبا مهما من أهمية الحوار. فلقد كثرت الهجمات على هذا الدين الذي بعث الله تعالى به رسوله الخاتم ﷺ رحمة للعالمين. وكثر الهجوم على أهله وقدوة الإسلام المتمثلة بشخص الرسول الكريم ﷺ، حتى وصل الأمر بهم إلى الهزء والسخرية، وجعل شخصه الكريم جزءا من رسوم كاريكاتيرية، تتداولها صحفهم وأقلامهم المأجورة.

إن أهمية الحوار تبرز هنا في مثل هذه المواقف، التي يجد المسلم الغيور على دينه، المحب لنبيه ﷺ لزاما عليه الذب والدفاع، بكل ما أوتي من مكنة، معذرة أمام الله تعالى، وأمام رسوله وحبيبه، نبينا وقدوتنا عليه أفضل الصلاة والسلام.

إننا نعيش زمنا من أولى ما ينبغي أن يهتم به قضية الحوار، ولقد حث القرآن الكريم في آيات كثيرة على الحوار الهادف البناء مع غير المسلمين خاصة أهل الكتاب لبيان الحق وإزالة الإبهام والغموض حول القضايا المختلف فيها. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فهذه الآية الكريمة ونظائرها تشكل الأرضية الصلبة التي يمكن تأسيس الحوار عليها للوصول إلى الحق والدفاع عنه.

إن الحوار والدعوة إليه تكشف سماحة الإسلام، وتظهر عظمة هذا الدين الرباني، فكما أن الناس شركاء في عمارة هذه الأرض، وأودع الله تعالى فيهم القدرات والطاقات التي تحتاج إلى تعاون وتبادل في الخبرات، ولا يكون هذا إلا بالتعاون لتحقيق عمارة آمنة للأرض، خالية من الضرر، مقللة للخصومات والاعتداءات. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]

لقد بعث الله نبيه ﷺ برسالة جعلها متممة لمكارم الأخلاق [١]، رحمة للعالمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

١ قوله ﷺ "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق". رواه البخاري في " الأدب المفرد " رقم (٢٧٣)، والحاكم في المستدرك (٢ / ٦١٣)، وأحمد (٢ / ٣١٨). وأخرجه الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١ / ٧٥.

حملت رسالته ﷺمنهج هداية ورشد وتكريم للإنسان، وغرس القيم في النفوس، والدعوة إلى دينه بالتي هي أحسن.

فالحوار أحد قيم هذه الشريعة الغراء، موجه نحو إقرار العدل والرحمة، ونشر القيم وبيان محاسن هذا الدين، ولإقامة الحجة على الناس، وتصحيح التصورات، والرد على الشبهات، ومعرفة الآخرين، ودرء ضررهم عن المسلمين.

إنه الحوار البناء المؤسس على قاعدة احترام الآخر، وعدم التعدي عليه، يوفر مناخاً إيجابياً لإيجاد برامج وصيغ تتعاون الثقافات من خلالها، في التصدي للتحديات التي نواجهها، والتي تجاوزت تلك القيم المطلوبة للتعايش.

ذلكم التجاوز الذي يمثل العقبة أمام مشروع الحوار مع الغرب عموما والمتعدي منه على وجه الخصوص، ألا وهي عقدة الاستعلاء وإرادة الهيمنة، والتي أفسدت علاقة التعايش، بل أفسدت علاقات الشرق والغرب منذ قرون، ومهدت للحروب الصليبية وبرر الاستعمار اعتداءه على حرمات الشعوب [١].

إنها جزء من الحرب الصليبية على الإسلام منذ قيامها مرورا بالمؤتمرات التي عقدت في ذلك، التي تبين ما عليه أربابها من الحقد والعداء للإسلام والمسلمين، ونبيهم عليه الصلاة والسلام.

ومن هنا فإن أهمية الحوار لتبرز من خلال المنطلقات التي ينطلق منها المسلم في الدفاع عن نبيه عليه السلام، إذا عرف أن الإساءة له ﷺ هو تجاوز لقيم التعايش والتعارف، والتي أقرتها جميع المنظمات الإنسانية، والتي قامت على أساس احترام الآخر وتقبله والتعايش معه.

إننا نحاور لأننا الأمة الشاهدة على الناس بالدعوة، متخذين الوسائل المعينة بفهم نفسية المخاطبين، وهذا ما فعله سلفنا الصالح. إنه الحوار المفروض على البشرية منظمات وجامعات وحكومات وعلماء وأدباء يقرر ويؤكد الختام الرائع للأنبياء عليهم السلام ودعوتهم، برسولنا محمد ﷺ وإتمامه مكارم الأخلاق، وأنه جاء رحمة للعالمين.

---

١ راجع ما ذكره المفكر الفرنسي روجيه جارودي في مقدمة كتابه حوار الحضارات، فقد أنصف فيما قال.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

المبحث الثاني

بعض شمائله عليه الصلاة والسلام، وشهادات علماء الغرب في تلك الشمائل.

أثنى الله عز وجل أحسن الثناء على أخلاق رسول اللهﷺ فقال عز من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. ورحمتهﷺ، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

لقد حظي نبينا محمد ﷺ بفضائل وكرامات سادت وعمت الآفاق، فرسولنا قد جمع نواحي العظمة الإنسانية كلها في ذاته وشمائله وجميع أحواله. وهي حقيقة شهد بها حتى المخالفين.

إن هذه الشهادات لهي أبلغ دليل وأنجح وسيلة في كشف خطأ حملات الإعلام المستهدِفة رسول الإسلام، فهي شواهد تنطق لغة الغرب وبمنطقه، ومن رحم فكره وثقافته وتدينه، مما لا يقبل من عاقل ردها، أو التشكيك في صدقها ومصداقيتها، فهي وليدة البحث غير الموجّه، لأنها لم تكن تخاطب العرب أو المسلمين أو تخطب ودهم. لقد جاءت هذه المواقف ممن اشتهروا عند الغرب أنفسهم، وليست هي صفحة من الماضي، بل هي ممتدة فإذا كان جوته، [١] وفولتير [٢]، وكارليل [٣]،

---

١ جوتة:(١٧٤٩ – ١٨٣٢) هو أحد أشهر أدباء ألمانيا. اهتم بالثقافة والأدب الشرقي. وكان من المهتمين بالإسلام والقرآن الكريم، وبسيرة الرسول "عليه الصلاة والسلام. انظر ترجمته: موسوعة أعلام المسرح، وليد البكري، عمان، دار أسامة، ٢٠٠٣م.

٢ فرانسوا فولتير " (١٦٩٤ – ١٧٧٨). نشأ في باريس. فيلسوف ذاع صيته بسبب سخريته الفلسفية ودفاعه عن الحريات المدنية خاصة حرية العقيدة. انتقد فولتير رسول الإسلام محمد بن عبد الله. في مسرحيته المعروفة باسم (التعصب)Fanaticism, or Mahomet. لكنه عاد لينقض تلك الافتراءات ضد الإسلام، عندما عرف حقيقة الإسلام حيث تأثر بكتاب «سيرة حياة محمد» لمؤلفه هنري دي بولونفيرس الذي نُشر في لندن عام ١٧٢٠، وفيه دفاعٌ عن رسول الله محمد ﷺ. وألَّف كتابه «بحثٌ في العادات» عام ١٧٦٥ ومدح فيه الإسلام وأشاد بمحمد وبالقرآن، وقال: «إنَّ محمداً مع كونفوشيوس وزرادشت أعظم مشرعي العالم» على حد تعبيره. وفي عام ١٧٥١ نشر كتابا بعنوان «أخلاق الأمم وروحها» دافع فيه عن محمد ﷺباعتباره مفكراً سياسياً عميق الفكر ومؤسس دين عقلاني حكيم، ومشيراً إلى أن الدول الإسلامية كانت تتمتع دائماً بالتسامح الذي خلا منه التقليد المسيحي تاريخياً. انظر: مقال: حقيقة موقف الفيلسوف الفرنسي فولتير من رسول الله محمد ومن رسالته. د. خالد بن عبد الرحمن الشايع. الأمين المساعد للبرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة. أضواء على التعصب، حسن حنفي، ص١٧٦.

٣كاتب انجليزي ولد عام ١٧٩٥م وتوفي عام ١٨٨١م، من أشهر مؤلفاته كتاب" الأبطال" الذي يتضمن أعظم الشخصيات تأثيراً في العالم. وفيه أفرد مقاله عن البطل النبي بوصفه يتجسد في شخص محمد. انظر: مقدمة كتاب الأبطال، ترجمة وتحقيق: محمد السباعي.

وزيجريدهونكه[1] من الموتى، فإن مونتجمري وات [2]، وهانز كينج [3]، وكارين أرمسترونج[4]، وكارل إرنست[5]، ممن لا يخفون ولا تخفى أقوالهم.

المطلب الأول–صدقه ﷺ.

عرف نبينا محمد ﷺ بالصدق قبل بعثته عليه السلام، وتأكد ذلك بما أثنى عليه الله تعالى به من جميل الصفات، وعظيم الأخلاق. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومعلوم أن مدعي الرسالة إما أن يكون من أفضل الخلق وأكملهم وإما أن يكون من أنقص الخلق وأرذلهم، ولهذا قال أحد أكابر ثقيف للنبي ﷺ– لما بلغهم الرسالة ودعاهم إلى الإسلام–: والله لا أقول لك كلمة واحدة إن كنت صادقا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أرد عليك، فكيف يشتبه أفضل الخلق وأكملهم بأنقص الخلق وأرذلهم[6].

والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب ولا يتبين صدق الصادق وكذب الكاذب، ولهذا لما أنزل الوحي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول مرة، ونزلت عليه الآيات من أول سورة العلق، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ!!قَالَ لِخَدِيجَةَ أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ قَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ بْنَ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي

---

١ زيجريد أو زيكريد هونكه (٢٦ أبريل ١٩١٣ في كيل – ١٥ يونيو ١٩٩٩ في هامبورغ) كانت مستشرقة ألمانية معروفة بكتاباتها في مجال الدراسات الدينية، وحصلت على شهادة الدكتوراه عام ١٩٤١.اشتهر عنها في آخر حياتها أنها كانت تنظر للإسلام نظرة معتدلة كما هو واضح من أشهر تراجم كتاباتها انتشارا في العالم العربي وهما شمس الله تشرق على الغرب وكتاب الله ليس كذلك. ويشير الدكتور علي الدفاع عالم الرياضيات في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران الى اعتناقها للإسلام قبل وفاتها. www.marefa.org

٢ مونتجمري وات مستشرق ومؤرخ انجليزي، كان عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره، حاصل على الدكتوراه في علم الكلام الإسلامي، وله عدد من المؤلفات عن الإسلام أشهرها: محمد في مكة، محمد في المدينة، محمد النبي ورجل الدولة، الوحي الإسلامي في العالم المعاصر. المستشرقون للعقيقي ٢/ ١٣٢.

٣ هو عالم اللاهوت الألماني المعاصر ذائع الصيت، ولد في سويسرا، أستاذ بجامعة تيبنجن بألمانيا، تجاوزت مؤلفاته مائة بحث ومقالة، من أشهر مؤلفاته، " الأخلاق العالمية". الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص٣١.

٤ باحثة بريطانية معاصرة في تاريخ الأديان لها عدد من المؤلفات عن النبي مثل كتاب محمد نبي زماننا، ولها مؤلفات عن الإسلام والديانات الأخرى عامة، وكانت أرمسترونج راهبة لم تغادر الدير إلا مؤخراً. الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص٣٣.

٥ مستشرق أمريكي معاصر، تلميذ المستشرقة الألمانية الكبيرة آن ماري شمل، وهو يعمل أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة شمال كارولاينا الواقعة في تشابل هل في الولايات المتحدة الأمريكية، وله عدد من الدراسات الإسلامية. الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص٣٠.

٦ شرح العقيدة الأصفهانية (١/١٣٨)

الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ!انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ نَوْفَلٍ، فقال وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى!![1]

فاشتملت هذه الواقعة على نوعين من طرق الاستدلال على صحة نبوته ﷺوعظيم قدره عند ربه، وأنه ليس ممن يخزيه الله تعالى:

النوع الأول: الاستدلال بأحواله وأخلاقه وأعماله، وبهذا استدلت خديجة رضي الله عنها.

والنبي ﷺيعلم الصدق من نفسه أكثر مما يعلمه غيره منه، وإنما خاف في أول الأمر أن يكون قد عرض له عارض سوء، فذكرت خديجة ما ينفي هذا؛ وهو ما كان مجبولا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم والأعمال؛ وهو الصدق المستلزم للعدل، والإحسان إلى الخلق، ومن جمع فيه الصدق والعدل والإحسان لم يكن مما يخزيه الله، وصلة الرحم وقرى الضيف وحمل الكل وإعطاء المعدوم، والإعانة على نوائب الحق هي من أعظم أنواع البر والإحسان، وقد علم من سنة الله أن من جبله الله على الأخلاق المحمودة ونزهه عن الأخلاق المذمومة فإنه لا يخزيه.

وبهذه الطريقة – أيضا – استدل هرقل ملك الروم، فإن النبي ﷺ، لما كتب إليه كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى غزة، فطلبهم وسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فطلب هرقل أبا سفيان، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ!!ثم سأله: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ فقال: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ....، إلى آخر الأسئلة التي سأل أبا سفيان عنها. ثم قال هرقل لترجمانه، بعد انتهاء ما عنده من الأسئلة، وسماع جواب أبي سفيان عنها: قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا. وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ.

وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا؛ فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ. وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ. وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ.

وسألتك أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ. وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ. وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا

---

١ متفق عليه. أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ح (٤٩٥٣)، ص٨٢٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ح١٦٠)، ص٦٣-٦٤.

وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ؛ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ!![1]

قال شيخ الإسلام رحمه الله بعد نقل القصة السابقة:" ولهذا أخبرت الأنبياء المتقدمون أن المتنبيء الكذاب لا يدوم إلا مدة، يسيرة وهذه من بعض حجج ملوك النصارى الذين يقال إنهم من ولد قيصر هذا أو غيرهم، حيث رأى رجلا يسب النبي ﷺ، من رؤوس النصارى، ويرميه بالكذب فجمع علماء النصارى وسألهم عن المتنبيء الكذاب: كم تبقى نبوته ؟فأخبروه بما عندهم من النقل عن الأنبياء أن الكذاب المفتري لا يبقى إلا كذا وكذا سنة، لمدة قريبة إما ثلاثين سنة أو نحوها!!فقال لهم: هذا دين محمد له أكثر من خمسمائة سنة، أو ستمائة سنة [يعني: في أيام هذا الملك]، وهو ظاهر مقبول متبوع، فكيف يكون هذا كذابا ؟؟ثم ضرب عنق ذلك الرجل!!

والنوع الثاني: الاستدلال بالنظر في رسالته وما جاء به، ومقارنتها بما جاء به الرسل من قبله: وبهذا استدل ورقة بن نوفل على صحة نبوته لما سمع ما جاء به؛ فالنبوة في الآدميين هي من عهد آدم عليه السلام.

وقد علم ما كانت عليه الرسل من الأقوال والأحوال على وجه العموم؛ فالمدعي للرسالة، إذا أتى بما يظهر به مخالفته للرسل علم أنه ليس منهم، وإذا أتى بما هو من خصائص الرسل علم أنه منهم، لا سيما إذا علم أنه لا بد من رسول منتظر. ولهذا قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]

وبهذه الطريقة ـ أيضا ـ استدل النجاشي على صحة نبوة محمد ﷺ، وآمن به بعد ذلك، فإنه لما سألهم عما يخبر به، واستقرأهم القرآن فقرؤه عليه، قال: " إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ".[2]

---

١ متفق عليه. أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ح (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ح (١٧٧٣).

٢ شرح العقيدة الأصفهانية (١/ ١٣٢).

شهادات بعض علماء الغرب بصدقه ﷺ.

أنقل هنا غيضاً من فيض ما شهد به علماء الغرب عن نبينا محمد ﷺ.

يقول الفيلسوف إدوار مونته الفرنسي في آخر كتابه (العرب):"عُرِف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصافه في الحكم، ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق".[١]

أما الفيلسوف الإنجليزي توماس كارليل، الحائز على جائزة نوبل، فيقول في كتابه الأبطال: "لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب، وأن محمداً خدّاع مزوّر. وقد رأيناه طول حياته راسخ المبدأ، صادق العزم بعيداً، كريماً بَرًّا، رؤوفاً، تقياً، فاضلاً، حراً، رجلاً، شديد الجد، مخلصاً، وهو مع ذلك سهل الجانب، ليّن العريكة، جم البشر والطلاقة، حميد العشرة "... وقد لوحظ عليه منذ بكارة سنه انه كان شاباً مفكراً، وقد سمّاه رفقاؤه الأمين – رجل الصدق والوفاء – الصدوق في أفعاله وأفكاره، وقد لاحظوا أن ما من كلمة تخرج من فيه إلا وفيها حكمة بليغة.

وبعد أن أفاض كارليل في إنصاف النبي محمد ختم حديثه منتهياً إلى انطباق معاييره للعظمة على محمد ﷺ، خاصة معيار امتلاك الإخلاص والصدق والحكمة الذي هو من لوازم الرجل العظيم ولا يكون الرجل عظيماً إلا به: "هكذا تكون العظمة، هكذا تكون البطولة، هكذا تكون العبقرية".[٢]

يقول صاحب كتاب (الرسول الأعظم في مرآة الغرب) معلقا: "ولا ينبغي أن تفوتنا أهمية تقرير كارليل في عبارته السابقة أن الرجل العظيم محمداً ﷺ هو أحد آيات الله التي دلّل بها الله تعالى على وجوده، فمثل هذا التقرير الصارم الذي يربط بين شخص النبي العظيم الصادق المخلص محمد ﷺ وبين آيات الله الصادقة في الكون، هو الذي جعل من محاضرة كارليل عن النبي البطل محمد ﷺ نقطة مفصلية فارقة بين مرحلتين من مراحل الفكر الغربي حول نبي الإسلام؛ مرحلة الأسطورة والخرافة التي سيطرت عليها الروح العدائية، مرحلة العلم والحقيقة التي افتتحت منظوراً إيجابياً جديداً تجاه نبي الإسلام".[٣]

---

١ ادوار مونته: مستشرق فرنسي ولد في بلدته لوكادا ١٨١٧ ـ ١٨٩٤.راجع: قالوا في نبي الإسلام محمد، مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر للدراسات والبحوث – التاريخ: ٢٠١٣/١/٢٣

٢ Thomas Carlyle, On Heroes, p.40

٣ الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص٢٦.

يقول مونتجمري وات:" منذ ألقى كارليل محاضرته عن محمد، ضمن سلسلة محاضراته عن الأبطال وعبادة البطولة، أصبح الغرب على وعي بوجود أساس طيب للاعتقاد في إخلاص محمد[١].

لقد أرسي كارليل بموقفه من صدقية النبي وإخلاصه دعائم اتجاه ثابت لدى المنصفين يحمل على عاتقه مسؤولية تبديد أوهام الزعم بأن محمداً لم يكن صادقاً ولا مخلصاً في دعواه النبوة.

فمن لندن والتي ألقى كارليل محاضرته، إلى باريس حيث يقرر جوستاف لوبون[٢]بعدها بسنوات أربع "" لا يصمد أيُّ قول بخداع محمد ثانية أمام سلطان النقد"[٣].

ويؤكد جوستاف مينشنج، أستاذ علم مقارنة الأديان في جامعة بون صواب هذا الاتجاه؛ نظراً لتضافر الدلائل العلمية والتاريخية على إثبات صدق النبي ﷺ وإخلاصه، فيقول:" " بدون شك لا يمكن فهم محمد أو تصنيفه حسب مفهوم العصور الوسطى بوصفه محتالا مارقا يدعي تلقى الوحي الإلهي، فمثل هذا الفهم الضيق يجب رفضه بكل حسم؛ وكذلك الرأي القائل بأن محمداً لم يكن صادقاً في نفسه. فمظهر النبي وكذلك ما نعرفه اليوم عن الوحي لا يدعان مجالاً للتشكيك في صدقية محمد ونزاهته"[٤].

المطلب الثاني –عدله ﷺ.

العدل محور أساسي في بناء استقامة المجتمعات، وضامن قوي لنهضتها. ولقد أكد ﷺ على العدل في رسالته منهجا وتطبيقا، وأرسى قواعده بين الناس، فكان عدله ﷺ وإقامته شرع الله تعالى ولو على أقرب الأقربين، والعدو والصديق، والمؤمن والكافر؛ مضرب المثل؛ كيف لا وهو رسول الله ﷺ، والمبلغ عن ربّه ومولاه؟!!فعرف بعدله ﷺ قبل أن يكرمه ربُّه بالنبوة؛ فكيف بعد أن منَّ الله عليه بها؟!!

فالعدل خلق من أخلاقه، ضمن شمائله العظيمة، عدل ﷺ حتى في تعامله حتى العدو المكابر، كيف لا ورب العزة والجلال يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨]

---

١ Montgomery Watt, Muhammad AT MECCA, P.52. Oxford AT 1953

٢ جوستاف لوبون مستشرق فرنسي ولد عام ١٨٤١م، له العديد من الكتب، مثل كتاب حضارة الهند، وأشهرها " حضارة العرب" أنصف فيه الحضارة العربية والإسلامية.. توفي عام ١٩٢١م. أحمد حامد: الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء ص٥٩-٦١. القاهرة، مطبوعات الشعب، د.ت.

٣ حضارة العرب، جوستاف لوبون، ص ١٧٦

٤ الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص٩٩.

لقد شهدﷺ مع عمومته، وهو حديث السنّ، حِلفَ الفضول، الذي عقدته قريش لنصر المظلوم وأخذ حقه من الظالم، والذي قال عنه بعد أن أكرمه الله بالنبوة: "لقدْ شهدتُ فِي دَار عبد الله بن جدعَان حِلفًا، لَو دُعيت بِهِ فِي الإِسْلَام لَأَجَبْت؛ تحالفوا أَن يردوا الفضول عَلَى أَهلِهَا، وَأَلَّا يَعُد ظَالم مَظْلُومًا". [1]

ولما اختلفت قبائل قريش وتنافست على رفع الحجر الأسود؛ تريد كل قبيلة أن تحظى بشرف رفعه، وكادت تتقاتل، ثم هُديت إلى تحكيم أول داخلٍ عليهم ليحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، فكان ذلك الداخل هو محمد ﷺ ولم يكن قد أُوحِي إليه بعد- فرضي به الجميع حكمًا؛ لما يعلمون من أمانته وفطنته وعدم محاباته أحدًا، فحكم بينهم بالعدل والقسط؛ فرضي الجميع بحكمه العدل، الذي لم تُغمط فيه قبيلة لصالح أخرى. [2]

إنه العدل الذي امتثله النبي ﷺ كل شأن من شؤونه، مع أصحابه وأعدائه، آخذاً بالعدل مع الجميع.

وفي قصة المرأة المخزومية التي سرقت قوله ﷺ: " أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها". [3]

وكان ﷺيأمر أصحابه بالعدل حتى مع النفس، وعدم تغليب جانب على حساب آخر، وإنما الموازنة وإعطاء كل ذي حق حقه، فقال: "يا عبد الله بن عمرو بلغني أنك تصوم النهار، وتقوم الليل فلا تفعل، فإن لجسدك عليك حظا، ولعينك عليك حظا، وإن لزوجك عليك حظا". [4]

شهادات بعض علماء الغرب بعدله ﷺ.

تقول الراهبة المعاصرة كارين آرمسترونج " ويمكننا النظر إلى المثل الأعلى للمساواة في الإسلام باعتباره الوسيلة العملية لتنمية الحب الأخوي، بإخضاع جميع الناس لمستوى اجتماعي وسياسي واحد". [5]

---

١ أخرجه البيهقي (٣٦٧/٦) وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٠٠).

٢ انظر القصة في: المستدرك، للحاكم (٦٢٨/١) من حديث عبد الله بن السائب، برقم ١٦٨٣.

٣ متفق عليه. البخاري، كتاب المغازي، باب من شهد الفتح، ح (٤٣٠٤)، ص٦٩١، ٦٩٢. ومسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ح (١٦٨٨)، ص٥٥٤.

٤ أخرجه البخاري، كتاب الآداب، باب حق الضيف، ح (٦١٣٤)، ص٩٨٦.

٥ الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص١١٠

ومن أجمل وأعذب ما قيل في شمائل محمدﷺ، ما قاله شاعر الألمان الكبير جوته، حيث تضمنت الشذرات المتبقية من عمله التراجيدي العظيم المسمى تراجيديا محمد" – ثناء ومديحاً عظيمين لم يسبق لأي غربي في أي عصر من العصور أن قدمها لنبي الإسلام.

إذ يبرز من بين هذه الشذرات قصيدة أنشأها الشاعر الكبير باسم "أنشودة محمد" التي تقول عنها البروفيسورة كاتارينا مومسن، عميدة الأدب الألماني بجامعات الولايات المتحدة الأمريكية: " ومن بين الشذرات المتبقية، عبرت، على وجه الخصوص، قصيدة المديح الشهيرة المسماة" نشيد محمد" عن مدى الولاء الذي كان الشاعر الشاب يكنه لشخصية النبي. وكان جوته قد نظمها في ربيع عام ١٧٧٣م، أي بعد أن قام بدراسة كل ما في متناول يده من مؤلفات عن الرسول. وتقوم هذه الصورة التي رسمها الشاعر على فكرة مفادها أن العبقري الرباني يرى الآخرين إخوة له يأخذ بأيديهم ويشدهم معه، منطلقاً بهم كالسيل العارم الذي يجرف كل ما يصادفه في طريقة من جداول وأنهار إلى البحر المحيط."[١]

المطلب الثالث – رحمته ﷺ

يقول الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩]

ولقد كانت رحمته معلما من معالم شخصيته ﷺ، وسيرته عليه السلام تعد نبراسا ومصداقا، رحمة بارزة في مواقفه كلها، وفي تعامله مع الناس جميعا.

لقد عمت رحمته وشمل إحسانه ﷺ كل شيء الطير والحيوان والنمل والشجر والإنسان ألم يقل ﷺ: " إن الله كتب الإحسان على كل شيء؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته، فليرح ذبيحته".[٢]

١الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص119.

٢أخرجه مسلم ح ٣٦١٥، كتاب (الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان)، باب (الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة).

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

وهو القائل:" في كل ذات كبد رطب أجر ". [١]. ألم يوصي ﷺبالبهائم فقال: "اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة..."[٢] ورأىﷺقرية من النمل قد حرقت قال: من حرق هذه؟ فقلنا نحن قال: " إنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا رب النار ". [٣] وهوﷺ القائل: " الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء ". [٤] وصدق ﷺحين قال: " إنما أنا رحمة مهداة ". [٥]

شهادات بعض علماء الغرب برحمته ﷺ.

من أجل الصفات التي حملتها النفس البشرية، شميلة فاض ذكرها شهد بذلك علماء الغرب. يقول الألماني رودي بارت [٦]: "إن عظمة محمد وتفرده تتجلى في كونه من ذلك الصنف من البشر الذي يميل إلى خدمة الناس ومساعدتهم، ويريد التأثير عليهم، ...أحسَّ أن الواجب عليه دعوة أبناء مدينته مكة وكل العرب إلى السير في طريق النجاة". [٧]

أما كارليل فيقول: "كان عادلا صادق النية، كان ذكي اللب شهم الفؤاد ممتلئا ناراً ونورا، رجلا، عظيما بفطرته لم تثقفه مدرسة ولا هذّبه معلم، وهو غنى عن ذلك كالشوكة استغنت عن التنقيح فأدى عمله في الحياة وحده في أعماق الصحراء"[٨].

" فقد كان المعروف عن النبي نفسه أنه رحيم ليّن الجانب، وجاء في الأثر أن محمداً حكم على رجل فقير ارتكب جنحة طفيفة بأن يتصدق ببعض ما لديه تكفيراً عن ذنبهً. ولكن الرجل أجابه بأنه لا يملك طعاماً أو بضائع حتى يتصدق بها. وفي تلك اللحظة جاءت إلى النبي في المسجد سلة كبيرة مليئة بالتمر، فقال محمد للرجل أن يأخذها ويقوم بتوزيع التمر

١رواه البخاري، كتاب المظالم، باب الآبار التي على الطرق إذا لم يتأذ بها، ح (٢٤٦٦)، ص٣٩٦، ومسلم ح (٢٢٤٤)، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها، ص٧٣٤.

٢رواه أبو داود، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم، ح (٢٥٤٨)، ص٥٩١. والألباني في "السلسلة الصحيحة ص١١٠.

٣رواه أبو داود، ح (٢٦٧٥) وصححه النووي في "رياض الصالحين" (٥١٩) " (٤٨٧).

٤رواه أبو داود في سننه (كتاب الأدب/ باب في الرحمة/ ح (٤٩٤١) وأخرجه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٢٣/ ح ١٩٢٤)، وقال عقبه: هذا حديث حسن صحيح، وقد حكم الشيخ الألباني على إسنادي أبي داود والترمذي بالصحة. السلسلة الصحيحة (٩٢٥).

٥رواه الحاكم (٩١/١) وقال: حديث صحيح على شرطهما.

٦رودي بارت هو أستاذ اللغات السامية والدراسات الإسلامية بجامعة تيبنجن، ولد عام ١٩٠١م، وتوفي عام ١٩٨٣م، وله عدد من المؤلفات في مجال السيرة النبوية وعلوم القرآن، ولكن أهم أعماله على الإطلاق هو ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى الألمانية. المستشرقون: نجيب العقيقي: ١٢٤/١

٧كتاب "محمد والقرآن" رودي باريت، عرض ونقد، أحمد فتحيhttp://www.alukah.net/Culture ..

8 Thomas Carlyle, on Heroes, pp.46-47

على الفقراء. وقال المذنب إنه بصراحة لا يعرف من يزيد عنه فقراً في الحيّ. فضحك محمد وقال له إن كفارته هي أكل ذلك التمر.

"كان غرس الشفقة والتراحم وتنمية الإحساس بهما من العناصر الأساسية في الرسالة الإسلامية منذ البداية، وإذا كان القانون إبان تلك الفترة سلاحاً صارماً، على ما يبدو، فإن جهود التهذيب أو التزكي كانت قد بدأت في الارتقاء بنظرة المسلمين إلى بعضهم البعض، وكان محمد هنا أيضا يمثل القدوة. وجاء في الأثر أنه شاهد ذات يوم أحد الموالي وهو يقوم بعمل شاق عسير، فتسلل إليه من الخلف ووضع يديه على عيني الرجل، على نحو ما يفعل الأطفال، وأجاب المولى أنه لابد أن يكون النبي، إذ لن يفكر غيره في تخفيف عنائه بمثل هذه اللفتة الرحيمة". [١]

" وقد قيل: إن أحد معايير تقدم المجتمع هو موقفه من الحيوان، وجميع الأديان تحث الناس على حب العالم الطبيعي واحترامه، وكان محمد يحاول تعليم المسلمين هذا السلوك. كان العرب في الجاهلية يعاملون الحيوان معاملة بالغة القسوة، فكانوا مثلاً يقطعون قطعاً من لحمها ويأكلونها وهي ما تزال حية، ويضعون قلائد مؤلمة حول أعناق الإبل، وقد حظر محمد وصم الحيوانات وصماً يتسبب في إيلامها، وحظر تنظيم مسابقات اقتتال الحيوان، وجاء في الأثر أنه قال إن رجلاً سقى كلباً يعاني من العطش فدخل الجنة، وإن امرأة حبست قطتها فماتت جوعاً فدخلت فيها النار.

وهذه الأحاديث التي وصلت إلينا تدل على مدى الأهمية التي اكتسبتها تلك القيم في العالم الإسلامي، ومدى السرعة التي تقدم بها المجتمع نحو رؤية تتميز بمزيد من التراحم الإنساني والتعاطف والشفقة". [٢]

ومن الإنصاف القول إن الأسبقية في الدفاع عن الإسلام ورسوله ﷺ، للشاعر الألماني جوته، وليس للكاتب البريطاني توماس كارليل، لأن كارليل، وإن كان الأشهر بمحاضرته التي ألقاها عام ١٨٤٠م في لندن، لكن جوته كان الأسبق، وله دوره في تصحيح مفاهيم الغرب الخاطئة حول نبي الإسلام، لأن جوته جمع بين الدراسة العلمية للإسلام ونبيه وكتابه، وبين الدفاع النظري، وبين التوجيه العملي.

فموقف جوته بُني على أساس راسخ من الدراسة العلمية الجادة والمتأنية للإسلام، تلك الدراسة التي امتدت نصف قرن من الزمان. يقول جوته:" إن غاية ما يفعله بفكره وعمله هو محاولة اللجوء للإسلام"..."لا يسعني أن أقول أكثر من أني أحاول هنا أيضا أن ألوذ بالإسلام".

---

١ الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص١١١.والنص للراهبة المعاصرة كارين آرمسترونج.

٢ الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص١١٣. والنص للراهبة المعاصرة كارين آرمسترونج.

وأن أفضل نصيحة تُقَّدم لأي إنسان أن يختار الإسلام الذي يحيا فيه البشر مهما اختلفت الصور التي تقوَّي عزائمهم"[١].

١ الرسول الأعظم في مرآة الغرب، ص١٣٢.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

المبحث الثالث

أثر الحوار في الدفاع عن النبيﷺ في إبراز تلك الشمائل.

يُعد الحوار الركيزة الإنسانية المثلى والأسلوب الحضاري الفاعل في تجلية الأمور والحقائق وإزالة المفاهيم المغلوطة والأحكام المسبقة الخاطئة حول الآخر، وفي جسور التواصل والتفاهم وتعزيز التعايش السلمي بين الأفراد والشعوب. وإبراز شمائله عليه السلام من خلال الحوار ليعد خير وأنجع وسيلة للدفاع عنه. إنها وسيلة تبرز خصائصه المحمدية بما لا يستقيم معه التطاول على شخصية استجمعت صفات الكمال البشري كلها، لا بشهادة من أحبه وآمن به، بل بشهادة حتى من لم يؤمن به.

إنه منهج بشري، وأسلوب شرعي لإيصال المعلومة، بل وإدخال القناعة في قلب المخالف، وتأصيل العلم والمسائل الشرعية والدعوة إليها. وهو مسلك سلكه الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، كما هو واضح من خلال القصص القرآني.

إن الدفاع عن النبي الخاتم ﷺ من خلال الإقناع بالحوار بكمال الشمائل المحمدية يعد من أعظم وسائل الدفاع والدعوة إلى دين الله تعالى، فكم من شخص اهتدى إلى الحق من خلال المعرفة الحقة بالنبي ﷺ، وليس المقصود بالمعرفة، معرفة اسمه ونسبه وعمره وأموره الشخصية، وإنما معرفته من خلال سجاياه وأخلاقه عليه الصلاة والسلام، فأبو بكر ﷺ لما دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام، ولسجايا رسخت في ذهنه ومعرفة بأخلاقه عليه الصلاة والسلام لم يتردد في دعوته، وغيره كثير.

والمقصود في هذا المقام هو تسليط الضوء على كيفية توظيف تلك الكمالات الخلقية للنبي ﷺ في الدفاع عنه عليه السلام، وإيصال رسالة الإسلام الخالدة. وفيما يلي البيان:

-صدقه ﷺ.

الصدق أعظم الأخلاق وأكرمها، كما أن الكذب أرذل الأخلاق وأفسدها، وقد سبقت الإشارة إلى اتصاف النبي ﷺ بتلك الشميلة، وامتدحه ربه بها. قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]

ووصف بالصادق الأمين حتى من أعدائه. وفي توظيف هذا الخلق في الحوار، لا بد من وضع الضوابط والموازين اللازمة لذلك، ببيان أهمية خلق الصدق ودلالاته على كمال الأخلاق وحسن السجايا، وأن من يتحلى به، لا بد أن يكون مقبولا عند الناس. كما لا يمكن أن يتحلى بالصدق إلا الكمل من الرجال.

وقد اتصف نبينا محمد ﷺ بالصدق في أعلى مقاماته، بل لم يفقه بشر في هذا المقام، فهو الصادق في حديثه، ولم يؤثر عنه كذبة لا قبل النبوة ولا بعدها. وهو الصادق في مواقفه وعهده، المتم لعهده، لم ينكث عهدا قط، ولم يخفر ذمة، أو يخلف وعدا.

إن استحضار هذه الشميلة عند الحوار في الدفاع عن النبي ﷺ، والمواقف الواردة في ذلك سجية وفعلا، قوله للأنصار ووعده لهم" بَلِ الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ، أَنَا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مِنِّي"[1]. وقد وفى لهم مع أن مكة أحب إليه وقد فتحها الله له.

وفى ﷺلليهود عهدهم في المدينة، فلم يغدر بهم، وإنما كانوا هم الذين غدروا.

وفي ميثاق صلح الحديبية... ثم قال سهيل: «وعلى ألا يأتيك منا رجل- وإن كان على دينك- إلّا رددته إلينا» فقال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلما؟ فبينما هم كذلك إذ دخل عليهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن تردّه إليّ، فقال النبي ﷺ: «إنّا لم نقض الكتاب بعد»، فقال سهيل: «والله إذا لن أصالحك على شيء أبدا»، ...فلم يجد النبي ﷺإزاء إصرار سهيل بدّا من إعادته إليه".[2]

لقد التزم النبي ﷺ بذلك على الرغم من أنه جاء على خلاف ما يحب عليه السلام، ولكنه الوفاء بالعهد، والصدق واحترام الكلمة.

إن رجلاً وإنساناً على هذه الدرجة العالية من الصدق والالتزام بالعهد والميثاق، وهو في أعلى مستوى في هذا المقام، يجب أن يعظم ويبجل ويقدم ويكرم.

فمن طعن فيه أو استهزأ به أو كذب عليه أو حاول الانتقاص منه، لا يشك عاقل في اعتدائه وظلمه، فالإنسان الصادق لا يمكن إلا أن يكون رجلا نبيلا، فكما أن الصدق خلق نبيل، فصاحبه أحرى وأولى.

ومع تحليه بالصدق عليه السلام واشتهاره به، يقطع العقل بصدقه في دعواه، فلا يمكن أن يترك الكذب على الناس ويتحلى بالصدق في كل معاملاته، ثم يأتي بأرذل أضداد الصدق ويكذب على الله تعالى، حاشاه عليه السلام. فالضدان لا يجتمعان، بأن يكون أصدق الناس وأكذبهم، وهذا محال. بل ومن هذا حاله لا يسوغ بحال الاعتداء عليه زورا وبهتانا.

---

١ رواه مسلم كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة، ح (١٧٨٠)، ص٥٨٧.

٢ البخاري- الصحيح (فتح الباري، الحديثان ٢٧٣١- ٢٧٣٢).، مسلم- الصحيح ٣/ ١٤١٠ حديث ١٧٨٣،

إن المحاور وهو يدافع عن النبي صاحب الخلق العظيم، من خلال ما سبق يستصحب معه أمرين:

أولهما: نشر هذا الخلق الذي اشتهر به النبي ﷺ، وفي هذا أعظم دفاع عنه عليه السلام، حيث البشر عموما فطرة وسليقة يقدرون ذوي الأخلاق العالية من الناس ويعرفون لهم حقهم.

ثانيهما: الدعوة إلى الإسلام، بإبراز حقيقة صدق النبي ﷺ في قوله ودعوته.

–عدله ﷺ.

العدل ذلكم الخلق القويم، والمسلك النبيل الذي تحلى به عليه الصلاة والسلام. ولقد قال ﷺ عن نفسه:" ومنْ يعدل إذا لم أعدل؟"[1]

إن العدل لا يمكن أن تقوم حياة لأمة بدونه، فهو معنى شمولي، متى ما تحقق وقعت الألفة بين الناس والمحبة، وتعاطوا الحق فيما بينهم.

والعدل مطية الحكم، تستقيم به أمور الناس في حياتهم ومعاشهم. وكما هو مطلب في الحكم، هو مطلب لكل فرد من أفراد الأمة.

وعند التصدي للدفاع عن النبي ﷺ بإبراز عدله عليه السلام، نجد أن هذه الصفة كما سبق الإشارة قد لفتت أنظار المخالفين. فها هو نظمي لوقا: المفكّر النصراني المصري، والذي تميزت كتاباته بالموضوعية، وقد تعمَّق في دراسة سيرة النبي ﷺ، والمبادئ التي قامت على أساسها الشريعة الإسلامية، كتب هذه الكلمات: "ما أرى شريعة أدعى للإنصاف ولا شريعة أنفى للإجحاف والعصبية من شريعة تقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة:٨]. فأي إنسان بعد هذا يُكْرِمُ نفسه وهو يدينها بمبدأ دون هذا المبدأ، أو يأخذها بديدن أقل منه تساميًا، واستقامة...؟[2]

لقد كان نبينا من أعظم الناس تعاطيا للعدل والتزاما به وبكل تبعاته، ظهر هذا لكل من عايشه ودرس حياته وسيرته عليه السلام.

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألّف ولئلا ينفر الناس عنه، رقم (٦٩٣٣) من أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله. فقال: ((ويلك، ومنْ يعدل إذا لم أعدل؟))

٢ محمد الرسالة والرسول، ص٢٦.

لم يساوم نبينا على هذا المبدأ، فعبارته "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"، أكبر دليل على ذلك. ولقد اشتهر ذلك عنه، حتى إن اليهود في خصوماتهم، كانوا يحبون أن يحتكموا إليه، لعلمهم أنه لم يكن ظالما، ولا يتردد في الحكم لصاحب الحق.

فقد كان يأمر بتطبيق العدل وإقامة الحدود على الضعيف والقوي، بل كان يتولى القضاء بنفسه ويتحرى العدل، ويحذر من الاعتداء على حقوق الآخرين، ويحذر من الكذب في الدعوى، وأكد على أهمية الشهادة. ولقد كان القضاء عاما بين الناس طبق في العهد النبوي، ودخل فيه المسلم وغيره، وشرع رسول الله ﷺ كل ما من شأنه تنظيم العدل بتعيين القضاة في الأماكن البعيدة.

بمثل تلك التوجيهات الإلهية والتطبيقات النبوية كان البناء لهذا المجتمع المسلم، وأصبح هذا النظام نبراسا للدول الإسلامية.[1]

إن المحاور المدافع عن النبي عليه السلام، حين يبرز هذه الشميلة وهذا الخلق العظيم الذي فاقت شواهده من آمن به ومن لم يؤمن، يجد لزاما عليه القول: إنه لا يمكن لعاقل أن يتجرأ على جناب صاحب الشريعة العدل.

فرجل هذه صفاته يستحق غاية التبجيل والاحترام والإجلال، فإن العدل بهذه الكيفية عزيز جدا بين البشر، ولا تطيقه النفوس. ودولته وأمته ﷺ قامت على العدل بشهادة الغرب أنفسهم.

ولقد أدرك رسول البشرية ﷺ حتمية الاحتكاك بالدول المجاورة والبعيد، فالهجرات والرسل إلى الملوك والأمراء، وما فيها من توجيه وهدي يدرك البعد النبوي في نشر رسالة الإسلام وسماحته وعدله.

-رحمته ﷺ.

الرحمة خلق عظيم، فاز نبينا محمد ﷺ فرس السبق الأعظم فيها، وشهد له ربه الذي اصطفاه بذلك. ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

إن المحاور الذي يتصدى للدفاع عن النبي ﷺ بإبراز شمائله لا يفوته الحديث عن هذه الشميلة، وكيف أنها خلق نبيل، والبشر يحتاجون في تعاملاتهم اليومية إلى من يكون بهم رحيما. إنه ذاك الرجل الذي يحترق قلبه عطفا وإشفاقا على المسكين والمحتاج والمريض، فالناس متفاوتون في أخذ الحق أو الوصول إليه، أو دفع الظلم عن أنفسهم. لكن الرحيم الذي عاين هؤلاء الأصناف يسدد ذلك العجز، وينتصر للضعيف والمظلوم، ويوصل الحق والخير.

١ للتوسع في هذه المعاني وشواهدها: راجع، رسول الله وخاتم النبيين دين ودولة (القسم الرابع) العالمية والدولة الإنسانية، أ.د. عبد العزيز العمري، ٩٧٧-٩٨٥.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

ونبينا محمد ﷺ مدح واتصف بهذا الخلق العظيم، وسمي نبي الرحمة، بل وصفه وامتدحه ربه بذلك، وامتن على هذه الأمة بأنه الرؤوف الرحيم. كان من أرحم الناس على المسلم وغير المسلم على الحيوانات والجمادات.

ويستصحب المحاور مع ما سبق الأمثلة الدالة على عظمته ورحمته ﷺ، والتي سبق الإشارة إليها من الموافقين والمخالفين، رحمته عليه السلام بالمخالفين والأعداء، موقفه الذي ترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحُدٍ؟ قال: "لقد لقيتُ من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلالٍ، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل عليه السلام، فناداني فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمُرهُ بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم على ثم قال: يا محمدُ إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئت: إن شئت اطبقتُ عليهم الأخشبين" فقال النبي ﷺبل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً ".[1]

أي أدب وأي رحمة وأي حلم ورفق، لم يدع على أحد منهم، وإنما استغاث بربه وكله أمل في أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله تعالى، فكانت رحمته وصبره فوق التعبير.

ما أشقها من مهمة، الدعوة إليه سبحانه، وإخراج الخلق من الظلمات إلى النور، إنها مهمة فريدة في تاريخ البشرية، تطلبت طبيعة فريدة للشخص القائم بها، ومكانة متفردة تناسب دوره ومهمته عليه السلام.

وهو ما قرره القرآن لشخص الرسول الكريم. ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

إن المحاور المدافع عن النبي ﷺ بإبراز الشميلة التي اتصف بها، وهي الرحمة في أعلى مقاماتها، إن إنسانا كهذا حقه التبجيل والإكرام والتعظيم والاحترام، فهل يستسيغ العقل الاستهزاء والطعن أو الانتقاص. إن رجلا يتحرك ويتحرق قلبه رحمة على المسكين والمحتاج، رجل رحم أعداءه وقت قدرته عليهم، فلم ينتقم منهم، ولم يؤاخذهم بما كانوا. كيف يطعن من ملئ قلبه شفقة ورحمة وإحسانا على عموم الناس والدواب والطير.

---

١ متفق عليه. أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ح (٣٢٣١)، ص٥٢٩.ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (١٧٩٥)، ص٥٩٢-٥٩٣.

بل إن المحاور ينتقل إلى موقف آخر وهو الدعوة إلى الإيمان برسالة هذا النبي الخاتم الرؤوف الرحيم، فنبي هذه صفاته ورحمته على امرأة وطفل وجمل وجذع كيف يعتدى عليه، هذا النبي الصادق ﷺ، الذي جمع إلى صدقه جماع الخصال المحمدية، ومنها رحمته التي لم يسبق إليها بما نقله إلينا التاريخ وشواهده، ممن آمن أو كفر.

وكانت هذه الرحمة إلى جانب سمات خلقية أخرى اجتمعت في شخص النبي ﷺ، كفلت له شهادة من الله تعالى، بأنه الرسول الأعظم خلقيا. ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]

وبعد، فهو الرسول الخاتم، خير إنسان سيد ولد آدم، جمع في سلوكه ﷺ بين الدنيا والآخرة، في تطبيق شرع الله تعالى، الذي أرسله به. ولقد عرفت صفاته الأمم قبل زمانه، اصطفاه المولى عز وجل، وصلى عليه، وختم به الأنبياء.

لقد صنف عليه الصلاة والسلام الأول في مصاف العظماء عبر التاريخ (أعظمهم محمد)، فهل يسوغ بعد ذلك التطاول على جنابه. ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١].

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخرا، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، الرؤوف الرحيم. وبعد، فلم يكن الإسلام يوما دينا يدعو إلى الحقد، أو الكراهية، أو الاستهزاء، أو السخرية من أحد، بل على العكس من ذلك تماما فإن الإسلام دين التسامح والمحبة والمساواة والعدالة والرحمة، دين المكارم والفضائل.

ولكن أعداء الدين ما فتؤا يحاولون بشتى الوسائل الطعن في هذا الدين، بل وتجاوزوا وتجرؤا على روح هذا الدين، المتمثل في شخص نبينا محمد ﷺ.ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ۞ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨ -٩]

لقد جاء البناء الأخلاقي الواضح في سيرته، والذي أشرت إلى جوانب منه في شمائله عليه السلام: صدقه، وعدله، ورحمته ممثلاً القيم الإنسانية للأمة جمعاء.

كان مثالا وأنموذجا للصدق والرحمة والعدل قبل مبعثه وبعده. أرحم العباد بالعباد، قادهم لصراط الله المستقيم. سيرة مباركة، حياة نبي، ومسيرة دولة، ومجتمع، وأمة.

أما عن الواجب الملقى على عاتقنا نحن أتباع النبي محمد ﷺ، فأوجزه فيما أعرض من توصيات:

يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

إن هذه الهجمة الشرسة تفرض علينا تجنيد وتعبئة القلوب والأقلام ووسائل الإعلام، لعرض السيرة العطرة والحياة الطيبة لأعظم إنسان. وهناك العديد من السبل، التي يستطيع الفرد منا القيام بها في حياته العلمية والعملية، **ومن أهم تلك الوسائل:**

- استئجار ساعات لبرامج مشهورة، في المحطات الإذاعية والتلفزيونية تدافع عنه ﷺ وتذب عن جنابه، ويستضاف فيها ذوو الاختصاص، والدراية بمخاطبة العقلية الغربية بإقناع، وهم بحمد الله كثر.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

- إقامة معارض دولية متنقلة ودائمة في المطارات وفي الأسواق وفي الأماكن العامة، بالتنسيق مع الجهات المسئولة نبرز من خلالها شخصية النبي ﷺ في حياته وأخلاقه وشمائله، مع الاستفادة مما يجذب من وسائل تقنية.
- إقامة مؤتمرات عالمية إسلامية توضح فيه سماحة الإسلام ويسر دين النبي ﷺ.وتظهر السيرة المشرفة العطرة لنبينا، ورسالته العظيمة بما فيها من الفضائل والمحاسن.
- التوسع في إنشاء قاعدة بيانات على الشبكة العالمية الإنترنت عن السيرة النبوية، بجميع اللغات فبرنامج أو برنامجين لا يكفي، بل لا بد من تكاتف الجهود، لتقوية الموجود على الساحة الآن واستحداث جديد يدعم.
- الإعلان في محركات البحث المشهورة عن بعض الكتب أو المحاضرات التي تتحدث عن الرسول ﷺ.
- الاهتمام بسفارات الدول الإسلامية، وغيرها، والرفع ببرامج توعوية مقننة لهم، يباشرها أهل الاختصاص، والتعريف بدين الإسلام، وشمائل النبي الكريم ﷺ.
- نشر الصحف والمجلات بلغات متعددة، وفتح قنوات فضائية مختصة بشؤون المسلمين، وتعنى بنشر السيرة النبوية وشمائل النبي الكريم ﷺ.
- العمل على إعداد أعمال موسوعية أكاديمية غنية في السيرة النبوية، وشمائل النبي الكريم، تصلح كأعمال مرجعية وترجمتها إلى اللغات العالمية.
- الاهتمام بنشر ما ذكره المنصفون من غير المسلمين بشأنه ﷺ.وهذه أؤكد عليها بقوة، فلا زالت الجهود تحتاج إلى مزيد في هذا الجانب.
- حث المحطات التلفزيونية الأرضية والقنوات الفضائية على إنتاج وبث أفلام كرتونية للناشئة تحكي شمائل الرسول ﷺوبعض القصص من السنة النبوية، ورصد الميزانيات المقترحة لذلك.
- تخصيص جائزة قيمة بمعايير معينة، لأفضل من خدم السيرة النبوية، سواء على المستوى الأكاديمي ببحوث منشورة أو أعمال ذات علاقة، وإقامة حفل تكريم سنوي.
- الاستفادة من ثورة التقنية المعلوماتية، فعلى المستوى الفردي، بإرسال الرسائل الإلكترونية الرصينة الهادفة، المتضمنة الاحتجاج والرد والاستنكار إلى كل المنظمات والجامعات والأفراد المؤثرين في الغرب.

ولعلي أشير هنا إلى أنموذج تطبيقي وهو حساب التغريد (تويتر)، الذي أطلق ضمن توصيات الملتقى الثالث للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، والذي أقيم تحت مظلة هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، التابعة لرابطة العالم الإسلامي، بعنوان (أعظمهم محمد) (whosthegr8est) ﷺ، نصرة للنبي عليه السلام، باللغتين العربية والإنجليزية.

وأخيراً وليس آخرا فكل واحد منا على ثغر من ثغور الإسلام في خدمة دينه وعقيدته وسنة رسوله ﷺ، كل حسب مكانه ومسؤوليته. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

KSA - Al-Madina Al-Monawara
www.b-jastaniah.sa
dr.jasten@gmail.com
966505304041+
المملكة العربية السعودية - المدينة المنورة

ثبت المصادر

المراجع العربية:

- أصول الحوار وآدابه في الإسلام. صالح بن عبد الله بن حميد. جدة. دار المنارة. بدون تاريخ.
- أضواء على التعصب، حسن حنفي، دار أمواج، ط١، بيروت ١٩٩٣.
- الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء. أحمد حامد. القاهرة. مطبوعات الشعب، د.ت.
- تاج العروس من جواهر القاموس. الزبيدي، طبعة دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٠٦هـ.
- التعريفات–علي بن محمد بن علي الجرجاني. بيروت. دار الكتاب العربي–١٩٩٢م،
- تفسير الجلالين –جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، بيروت – دار المعرفة، بدون ذكر تاريخ النشر.
- الجامع لأحكام القرآن –القرطبي، محمد بن أحمد.، طبعة دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- الجامع الصحيح –الترمذي، محمد بن عيسى –بيروت– دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون ذكر تاريخ النشر.
- حضارة العرب –جوستاف لوبون– تعريب عادل زعيتر – القاهرة – دون تاريخ.
- حوار الحضارات–روجيه جارودي–بيروت. منشورات عويدات. ط٣،١٩٨٦م.
- الحوار الإسلامي المسيحي –بسام داود عجك. دار قتيبة ١٤١٨هـ.
- الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه –منقذ بن محمود السقا – مكة–رابطة العالم الإسلامي.
- الحوار مع أصحاب الأديان مشروعيته وشروطه –د. أحمد سيف الدين التركستاني، نسخة الكترونية موجودة ضمن برنامج المكتبة الشاملة،
- الرسول الأعظم في مرآة الغرب. إعداد الدكتور: عبد الراضي محمد عبد المحسن–جامعة القاهرة– إشراف: أ.د. عادل بن علي الشدي. الأمين العام للهيئة العالمية للتعريف بالرسول ﷺ ونصرته– الرياض ١٤٣٢هـ ٢٠١١م.
- رياض الصالحين–يحي بن شرف النووي–القاهرة–دار الريان–بدون تاريخ نشر.
- رسول الله وخاتم النبيين دين ودولة (القسم الرابع) العالمية والدولة الإنسانية، أ.د عبد العزيز العمري، ط١، بيروت، بيسان، ١٤٣٢هـ.
- السلسلة الصحيحة–الألباني، محمد ناصر الدين–القاهرة–مكتبة المعارف–١٤١٥هـ.
- سنن البيهقي الكبرى– تحقيق: محمد عبد القادر عطا–بيروت–دار الكتب–٢٠٠٣م.

- سنن أبي داوود–سليمان بن الأشعث. ط١. بيروت، شركة دار الأرقم.١٩٩٩م.
- شرح صحيح مسلم –النووي، يحي بن شرف– القاهرة – دار أبي حيان. ١٩٩٥م.
- شرح العقيدة الأصفهانية–ابن تيمية، أحمد عبد الحليم–ط١–الرياض–مكتبة الرشد–١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم–مسلم بن الحجاج–تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة. ط١. الرياض. دار طويق للنشر.١٤٣١هـ.
- صحيح البخاري. البخاري، محمد بن إسماعيل. تحقيق رائد صبري ابن أبي علفة. ط١. الرياض. دار طويق للنشر.١٤٣١هـ.
- لسان العرب –ابن منظور، بيروت– طبعة دار إحياء التراث العربي – ١٤١٦ هـ.
- محمد الرسالة والرسول–نظمي لوقا–تحقيق: محمد الباز–كنوز للنشر والتوزيع–٢٠٠٧م.
- المستدرك على الصحيحين–الحاكم النيسابوري– تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي–دار الحرمين–١٤١٧هـ
- المستشرقون. نجيب العقيقي. بيروت–الفكر العربي. بدون تاريخ.
- معجم مقاييس اللغة –ابن فارس. طبعة دار إحياء التراث العربي. بيروت. ٢٠٠١.
- المفردات في غريب القرآن –الراغب الأصفهاني– الحسين بن محمد.، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، طبعة دار المعرفة، بيروت، بدون ذكر تاريخ النشر.

المراجع الأجنبية:

-Thomas Carlyle، On Heroes، Hero-Worship، & the Heroic in History. University of California Press. Loss Angeles- Oxford 1993.

-Montgomery Watt، Muhammad AT Medina، Oxford at the Clarendon Press. 1966.

الدوريات:

- مقال: الموقف الغربي من شخصية النبي محمد. د. أحمد عبد الرزاق خلف–جامعة الأنبار–كية العلوم الإسلامية–قسم العقيدة–مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية مج٣، العدد ١٤، ٢٠٠٨م.
- قالوا في نبي الإسلام محمد، مؤسسة الفكر الإسلامي المعاصر للدراسات والبحوث – التاريخ: ٢٠١٣/١/٢٣.
- حقيقة موقف الفيلسوف الفرنسي فولتير من رسول الله محمد ومن رسالته. د. خالد بن عبد الرحمن الشايع. الأمين المساعد للبرنامج العالمي للتعريف بنبي الرحمة. الشرق الأوسط–الثلاثاء ٠٥ جمادى الثاني ١٤٢٩ هـ ١٠ يونيو ٢٠٠٨ العدد ١٠٧٨٧.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	1
تمهيـــد	3
مفهوم الحوار	3
الحوار في اللغة:	3
الحوار في الاصطلاح:	4
المبحث الأول: أهمية الحوار	6
المبحث الثاني: بعض شمائله عليه الصلاة والسلام، وشهادات علماء الغرب في تلك الشمائل.	8
المطلب الأول–صدقه.	9
شهادات بعض علماء الغرب بصدقه.	12
المطلب الثاني –عدله.	13
شهادات بعض علماء الغرب بعدله.	14
المطلب الثالث – رحمته	15
شهادات بعض علماء الغرب برحمته.	16
المبحث الثالث: أثر الحوار في الدفاع عن النبي في إبراز تلك الشمائل.	19
–صدقه.	19
–عدله.	21
–رحمته.	22
الخاتمـة	25
ثبت المصادر	27